﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

كـلُّ مـا يصيب المـرءَ مـقـدَّرٌ مِن الله

لمّا دعتِ الآياتُ السّابقة إلى الإيمان في قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التغابن: 8]، ورغَّبَتْ فيه بقوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ [التغابن: 9] بما ذكَرَتْ من الجزاء جاءت هذه الآيةُ لتقرِّرَ حقيقة الإيمان الصحيح الَّذي يَرُدُّ كلَّ شيء إلى الله تعالى، ويوقن صاحبُه أنَّ كلَّ ما يصيبه من خير أو شر فهو بإذن الله تعالى.

كذلك: بعد أن ذكر سبحانه فيما سلف أنَّ النّاس قسمان: كافرٌ بالله مكذِّبٌ لرسوله لا يستجيب للهداية بل يكذِّب بها، ومؤمنٌ بالله مصدِّق لرسله وهو يعمل الصّالحات أردَفَ ذلك ببيان أنَّ ما يصيب الإنسان من خير وشر هو بقضاء الله وقدره بحسب النُّظم الَّتي وضعها في الكون، فعلى الإنسان أن يَجِدَّ ويعملَ، ولا يباليَ بعد ذلك بما يأتي به القضاء؛ لعلمِه بأنَّ ما فوق ذلك ليس في طاقته، ولن يهولَهُ أمرُه، ولن يحزنَ عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّصِيبَةٍ﴾: أصلُها في الرَّمية، ثمَّ اختصَّت بالنّائبة؛ نحو ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران: 165]، وتطلق على ما ينال الإنسانَ ويصيبه من خير أو شرٍّ، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ [التوبة: 50] الآيةَ، والإصابةُ في الخير اعتبارٌ بالصَّوب، أي: بالمطرِ، وفي الشَّرِّ اعتبارٌ بإصابة السَّهم، وكلاهما يرجع إلى أصلٍ واحد؛ فالصادُ والواو والباء أصلٌ صحيح

(1) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 125.

يدلُّ على نزول شيء واستقراره قرارَه. من ذلك الصّواب في القول والفعل، كأنَّه أمرٌ نازلٌ مستقِرٌّ قرارَه. وهو خلاف الخطأ. ومنه الصَّوبُ، وهو نزولُ المطر[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أثر الإيمان بقدر الله في هداية القلب

تُقرِّرُ الآيةُ الكريمة أنَّ كلَّ ما يصيب الإنسانَ من خيراتِ الدُّنيا ولذّاتِها، أو رَزاياها وشرورِها هو بقضاء الله وقدره بحسب ما وضَعَ من السُّننِ في نظم الكون، فعليه ألّا يحزن ولا يغتمَّ لِما يصيبه بعد ذلك؛ لأنه قد فعل ما هو في طاقته، ثمَّ بيَّنَ أنَّ الإيمان يضيءُ القلب، ويشرح الصَّدر لخير العمل، والله عليم بالأشياء كلِّها، فهو عليم بالقلوب وأحوالها، ومُطَّلِعٌ على سرِّها ونجواها، فاحذروه وراقبوه في السِّرِّ والعلن[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

عاقبةُ المشركين في الدُّنيا والآخرةِ وتطييبُ خاطر المؤمنين

فُصلت هذه الآيةُ عمّا قبلها؛ لأنَّها استئنافٌ بيانيٌّ انتقل إليه بعد أن توعَّدَ المشركين بما يحصل لهم من التَّغابنِ يوم يجمع الله النّاس للحساب، ذلك لأنَّ تهديد المشركين بيوم الحساب يثيرُ في نفوس المؤمنين التَّساؤُلَ عن الانتصاف من المشركين في الدُّنيا على ما يلقاه المسلمون من إضرارهم بمكَّة؛ فإنَّهم لم يكفّوا عن أذى المسلمين وإصابتهم في أبدانهم وأموالهم والفتنة بينهم وبين أزواجهم وأبنائهم[3]. وقيل: كلامٌ مستأنفٌ مَسوقٌ للرَّدِّ على الكفّار الَّذين قالوا: لو كان المسلمون على حقٍّ لصانَهُم الله من المصائب في الدُّنيا[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صوب).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 127.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 279.
(4) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 114.

بلاغةُ القصر في الآية:

تخصيصُ وقوع الحادثاتِ بأمره وحده

في الآية الكريمة قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ بطريق النَّفي والاستثناء، وهو قصرٌ إضافيٌّ غرضُه تخصيصُ إحداثِ الرّزايا والمصائب بالإذن والأمر المُتعلِّقَين بالله، فلا شريكَ له في إحداثهما، وفي هذا إشارةٌ إلى الهيمنةِ والسَّيطرةِ الكاملتين على كلِّ الخلق والأحداث.

بلاغةُ التَّعبير بالفعل ﴿أَصَابَ﴾ دون غيره كـ(حَلَّ) أو (وقَعَ):

قـوَّةُ الفعل وتوجُّهُه إلى المصاب

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل ﴿أَصَابَ﴾ دون غيره من الأفعال كـ(حلَّ) أو (وقَعَ)؛ لأنَّه يدلُّ على نزول شيء واستقراره، وفي هذا دليلٌ على قوَّة المصيبة وشدَّتها؛ كأنَّها متوجِّهة إلى مَن تريد مِن دون مانع أو حاجز، يؤكِّدُ ذلك أنَّ القرآن لا يَستعمِلُ مع المصيبة إلّا ﴿أَصَابَ﴾، ولم يستعمل فعلاً آخرَ، فلم يقل: (وقعت مصيبة) أو (حلَّت مصيبة)، بل يستعمل ﴿أَصَابَ﴾ وتصرُّفاتِه، وربُّ العالمين بيّن لنا أنَّ المصائب مقدَّرة، وقد أصابتْ موقعَها المُقدَّرَ لها لم تخطئه؛ لأن الفعل ﴿أَصَابَ﴾ يدلُّ على أنَّ الأمر لم يقع عشوائيًّا؛ لذلك لا تؤدِّي لفظةُ (حلَّ) أو (وقع) هذا المعنى.

دلالةُ تذكير الفعل ﴿أَصَابَ﴾ دون تأنيثه:

تأويل المؤنَّث بالمذكَّر مع دلالة قلَّةِ المصائب وكثرة العطاءات

جاء الفعل ﴿أَصَابَ﴾ مذكَّرًا من غير إلحاق التّاء به؛ فلم يقل (أصابت) مع أنَّ الإلحاق أكثر، ولعلَّ سبب ذلك تأويل المصيبة بلفظ المذكَّر مثل: الحادث، أو الشَّيء السَّيِّئ، ويضافُ إلى علة عدم إلحاق التّاء بالفعل – وهو قليلٌ – بيانُ أنَّ الأصل في فعل الله العطاءُ والخير، والإصابةُ بالمصيبة هو الاستثناء، فتلاءَمَ قلَّةُ الإلحاق بالتّاء مع قلَّةِ الإلحاق بالمصائب.

دلالةُ التَّعبير بالفعل الماضي ﴿أَصَابَ﴾:

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل الماضي ﴿أَصَابَ﴾ دون المضارع (يصيب)؛ للدَّلالة على أن المراد المصائب الَّتي أصابت المسلمين من

معاملة المشركين لهم في الفترة المكّيَّة، وعلى هذا فهو إخبار بالماضي، وعلى أنَّ المراد ما يصيب الإنسان من خير أو شرٍّ في حياته، وهو أمرٌ متجدِّدٌ يقتضي التَّعبير بالمضارع، إلّا أنَّه جاء بصيغة الماضي للدَّلالة على أنَّ ذلك مقدَّرٌ في الأزل، ووقوعُه إظهارٌ لمّا قدَّرَهُ الله لا لإنشائه.

المصائبُ قُـدِّرَتْ مِـــن الأزلِ، ووقوعُها إظهارٌ لقضاء الله

علةُ حذفِ متعلَّق ﴿أَصَابَ﴾:

لم يقل القرآن: (أصابكم)، وإنَّما قال: ﴿أَصَابَ﴾؛ ليكونَ الحكمُ عامًّا مطلقًا، لا يخصُّ جماعةً أو فريقًا، فالتَّعبيرُ بالفعلَ دون المفعول دالٌّ على أنَّ الإصابةَ قد تمَسُّ المؤمن وقد تمَسُّ الكافر، ولو خُصِّصَ اللَّفظُ بالمفعول لقُصِرَ على طائفةٍ بعينها وهم المخاطبون.

إفـادةُ العـموم دون الخصوص

دلالةُ حرفِ الصِّلةِ ﴿مِن﴾ في السّياق:

دلَّ التَّعبير بـ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ على تأكيدِ أنَّ كلَّ مصيبة أو رزيَّة هي من الله وحده دون غيره، صَغُرَتْ أم كَبُرَتْ، يَسُرَتْ أم عَظُمَتْ، وقد يقال بتلاحم معنى ﴿مِن﴾ هنا؛ أي: أنَّها دالَّةٌ على الابتداء، وهو معنًى لا يفارقها كما يقول العلماء[1]، فيدلُّ معنى الابتداء على أنَّ أيَّ مصيبةٍ مبتداها ومنتهاها من عند الله ﷻ؛ فلا يدَ لمخلوق، إنَّما هو مستقبِلٌ فقط، لا حيلةَ له ولا قوَّة.

التَّأكيدُ على أنَّ كلَّ مصيبةٍ تقع بإذن الله

نكتةُ تنكيرِ ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ وموقعُها الإعرابيّ:

التَّنكيرُ دالٌّ على العموم والشُّمول؛ أي: أنَّ كلَّ مصيبة مَرَدُّها إذنُ الله وأمره، وفي التَّنكير بيانٌ لطلاقة القدرة، والسيطرة على كلِّ حوادثِ الدَّهر وريَبه، و﴿مُّصِيبَةٍ﴾ هنا فاعلٌ مجرور لفظًا بـ﴿مِن﴾ التَّوكيديَّةِ مرفوع محلًّا. واختصَّت المصيبةُ في استعمال اللُّغة بما يلحق الإنسانَ من شرٍّ وضرٍّ وإن كان أصلُ فعلها يقالُ لِما يصيب الإنسانَ مطلقًا، ولكن غُلِّبَ إطلاقُ فعلِ أصاب على لحوقِ السّوء[2].

بـيـانُ الـعـمـوم وطـلاقـةُ القـدرة الإلهيَّة

(1) أحمد درويش، دقائق المعاني في القرآن والسنة من خلال تلاحم معاني حرف الجر، من، ص: 38.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.

تخصيصُ لفظة ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ بالذِّكر:

المصيبة أكبر عامل لإحداث الهمّ

خُصَّتْ لفظةُ المصيبةِ بالذِّكر؛ لأنَّها تصوِّرُ حالة الهمِّ والغمِّ الَّتي تعتري النّاس، ولأنّها الباعثة على الحزن والضّيق والكرب، وهذا ما كان يحدثُ للمؤمنين؛ نتيجةَ الإيذاء والتَّخويف والإرهاب، كما أنَّ التَّنصيص على المصيبة هنا للدَّلالة أنَّ كلَّ شيءٍ ينالُ العبد إنما هو بإذن الله؛ لأنَّ جِبِلَّةَ الإنسانِ تأبى المصائب وتتوقّاها، ومع ذلك تصيبُه، وليس في مقدوره دفعُها بخلاف الخير، فقد يدَّعي المرءُ أنَّه حصَّلَهُ باجتهادٍ منه كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78][1].

دلالة التَّعبير بالاستثناء:

المُقدِّرُ للمصائبِ والقاضي بها هو اللهُ وحده دون غيره

الاستثناءُ في الآية الكريمة مُفَرَّغٌ؛ أي: ناقص منفيٌّ؛ لتقدُّم النَّفي، وفراغِ الجملة من المستثنى منه، وفائدةُ الاستثناء دفعُ ما يتوهَّمُه بعضُهم مِن أنَّ المصيبة ليست بإذن الله، فدلَّتْ ﴿إِلَّا﴾ على الحصر؛ فالإصابة بيد الله وحده دون غيره.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

توجُّهُ المصيبةِ متوقِّفٌ على الإرادة

في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ مكنيَّة؛ بحذف المشبَّه به والدّلالة عليه بلازمٍ من لوازمه (الإصابة)، ويضاف إلى ذلك أنَّ الإذن هنا مستعارٌ لتكوين أسباب الحوادث، وهي الأسباب الّتي تُفضي في نظام العادة إلى وقوع واقعاتٍ، وهي من آثار صنع الله في نظام هذا العالم من ربط المسبَّبات بأسبابها، مع علمه بما تفضي إليه تلك الأسبابُ، فلمّا كان هو الَّذي أوجَدَ الأسبابَ وأسبابَ أسبابِها، وكان قد جعل ذلك كلَّه أصولًا وفروعًا بعلمه وحكمته أطلق على ذلك التَّقديرِ والتَّكوينِ لفظَ الإذن،

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 8/ 203.

والمشابهةُ ظاهرةٌ، ومقتضى هذه الاستعارةِ تقريبُ حقيقة التَّقلُّبات الدُّنيويَّة إلى عقول المسلمين باختصار العبارة؛ لضيق المَقام عن الإطناب في بيان العلل والأسباب[1].

دلالةُ الباءِ في لفظةِ ﴿بِإِذْنِ﴾:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالباء في قوله: ﴿بِإِذْنِ﴾؛ لِما تحملُهُ من المصاحبة والسَّببيَّة، وهذه معانٍ ثابتةٌ لحرف الباء، فالمصاحبةُ دلالةٌ على كون الإذن مصاحبًا للمصيبة، فلا تُحدث ما تُحدثه من أثر نفسيٍّ أو بدنيٍّ إلّا بالإذن المباشر من الله، وهنا ينضمُّ معنى السَّببيَّةِ في الباء، فيكون المعنى: لا تصيب المصيبة إلّا بسبب إذن الله، فيكون تلاحمُ المعاني دالًّا على طلاقة قدرة الخالق في الإصابة بالمصيبة من عدمها.

دلالةُ التَّعبير بالإذن دون العلم:

آثر القرآن الكريم التَّعبيرَ بالإذن دون العلم؛ لأنَّ الإذن أخصُّ من العلم، ولا يكاد يستعمل إلّا فيما فيه مشيئة به، سواء رضيَ بوقوع الفعل أم لم يرض به، ولأنَّ الإذن في الشَّيء هو الإعلام بإجازته والرُّخصة فيه من غيرِ أنْ يدلَّ على الرِّضا به؛ فما وقع للمسلمين مثلًا في غزوة أحدٍ وقع بالإذن الكونيِّ لا بالإذن الشَّرعيِّ، ولأنَّ التَّعبير بالإذن يحمل معنى التَّمكين من الشَّيء مع العلم به، وهذا يُلزِمُ المؤمنين الرِّضا بما قدَّره الله لهم؛ لأنَّه واقع بإذنه[2].

إلـزامُ المؤمنين الرِّضا بكلِّ ما قدَّره الله

نكتةُ إضافةِ الإذن إلى لفظ الجلالة:

نكتة إضافة الإذن إلى لفظ الجلالة تربية المهابة في النَّفس بذكر الاسم الأعظم، مع اكتساب الإذن قيمتَهُ بشرف الإضافة؛ لأنَّ الإذن اكتسب عظمته من قيمة إضافته لعظيم. وفيه تنبيهٌ على أنَّ

تربيـةُ المهـابة واكـتـسـابُ العظمة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 162، والأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: 3/ 972، والراغب، المفردات في غريب القرآن: (أذن).

مَقام المؤمن من الأدب بعد حلول المصيبة وعند انهيال الرغيبة هو ألّا يحزنَ على ما فات، ولا يبطرَ بما ناله من خيرات[1].

وممّا يُذكر في دلالة الإضافة إعلان ذكر المصيبة، وأنَّها واقعة بإذنه، وفي ذلك إظهار للحقيقة؛ لتستقبلها النَّفس استقبالَ اليقين بأنَّ قدر الله هو الخير لعبده.

بلاغةُ التّعبير بالجملة الشّرطيّة:

ترغيب المؤمن في الثّبات والتّصبُّر على المصيبة

أسلوبُ الشَّرط في قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ إيماءٌ إلى قيمة الأمر بالثَّبات والصَّبر عند حلول المصائب؛ لأنَّه يَلزَمُ من هداية الله لقلب المؤمن عند المصيبة ترغيبُ المؤمنين في الثَّبات والتَّصبُّر عند حلول المصائب[2]، وفي التَّعبير بجملة الشَّرط تشويق إلى ذكر الجواب المنتظَر الَّذي يملأ القلبَ هدوءًا وسكينة بعد ذكر الإيمان بالله، وفيه إشارة إلى أنَّ الجواب لا يتحقَّقُ إلّا بتحقُّقِ فعل الشَّرط.

سرُّ تقديم الإيمان على الهداية:

الهدايةُ هدايةُ يقينٍ وتسليمٍ عند الابتلاء

قُدِّمَ الإيمانُ على الهداية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ مع أنّ الهداية سابقة على الإيمان؛ لأنَّ المرادَ بالهداية في قوله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ التَّوفيقُ واليقينُ لا الدَّلالةُ، وعلى هذا يكون المعنى: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ لليقين عند نزول المصائب، فيَعلمُ أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذه الأولى. الثّانية: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ للرّضا والتَّسليم عند نزول المصائب. الثّالثة: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ للاسترجاع عند نزول المصائب، وهو أن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: 156]. الرّابعة: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾؛ أي: يجعلُهُ ممّن إذا ابتلي صبر، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا ظُلم غفر. والخامسة: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ لاتّباع السّنّة إذا صحّ إيمانه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 412.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 279.

وممّا يؤكّد هذه المعانيَ أنَّه قرئ في الشّاذِّ: (يَهْدَأْ) بفتح الدّال وبالهمز، من الهدوء، وهو السّكون، فمعناه: ومن يؤمنْ بالله إيمانًا خالصًا يَسكُنْ قلبُه، ويطمئنّ عند نزول المصائب والمحن، ولا يجزع ولايقلق[1].

الموقعُ النّحويّ لقوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾ ودلالتُه:

جملةُ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾ استئنافيَّةٌ، وهي ردٌّ على أهل الكفر الَّذين يقولون: لو كانوا مؤمنين لَما نزلت عليهم المصائب.

مقارنةُ مصيبة الكفر بنعمة الإسلام

والواو على هذا تكون مستأنِفةً لمعنًى جديدٍ مرتبطٍ بما قبله في شأن المصيبة في قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، ويكون المراد بالمصيبة الكفرَ على رأي بعضهم، والكفر أعظم المصائب، وتكون جملة ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ قد تضمَّنت الإيمان، والإيمانُ بالله أعظم النِّعم[2].

دلالةُ التَّعبير بـ(مَن) دون (الَّذي):

آثرَ القرآن الكريم التَّعبير بـ(مَن) دون (الَّذي) في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾؛ لأن ﴿مَآ﴾ تدلُّ على العموم؛ فتشمل المفرد والمثنّى والجمع، والمذكر والمؤنَّث؛ بخلاف (الَّذي)؛ فإنَّها تدلُّ على المفرد المذكَّر فقط، وهذا غيرُ مراد في سياق الآية؛ لأنَّها سيقت من أجل الدَّعوة إلى الإيمان الَّذي يترتب عليه هداية القلب، والإسلامُ بهذا يفتحُ الباب أمام الجميع للدخول في حظيرة الإيمان، ولموافقة ما سبق في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ [التغابن: 9]؛ حيث جاء التَّعبير بـ(من).

شمولُ دعوة الإسلام لكلِّ الخلائق

سرُّ التَّعبير بالإيمان في قوله: ﴿يُؤۡمِنۢ﴾ مع دلالةِ تكراره:

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالإيمان في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾ دون

ملاءمةُ الإيمانِ للرِّضا؛ لكونهما من أفعال القلوب

(1) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور: 10/ 15.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 8/ 203.

غيره كالإسلام؛ لأن الإيمان عمل قلبيٌّ يتناسب مع الرِّضا بما قدر الله للعبد من المصائب؛ فالإيمان هو الَّذي يجعله يتقبل قضاء الله فيه بالرِّضا؛ لأنَّ الإيمان إذا تمكَّنَ من القلب استقبلت الجوارح ما قدَّره الله بيقين الإيمان، وكرَّرَ النَّظمُ الكريمُ فعلَ الإيمان ﴿يُؤۡمِنۡ﴾ مع ذكره سابقًا في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ [التغابن: 9]؛ لاختلاف المراد في كلٍّ منهما؛ فهناك دعوةٌ عامة للإيمان يترتَّبُ عليها بعدَ العمل الصالح تكفيرٌ للسَّيِّئات ودخولٌ في الجنّات؛ أمّا هنا فجاء الأمرُ بعد أمرِ الابتلاء بالمصائب والتَّسليم بوقوعها بإذن الله، ومثلُ ذلك يحتاج إلى إيمانٍ يستقبل به العبدُ قدرَ الله.

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يُؤۡمِنۡ﴾ مع دلالة تعدّيه بالباء:

دوامُ الإيمان عاملٌ من عوامل الهداية

دلَّ التّعبير بالفعل المضارع ﴿يُؤۡمِنۡ﴾ على أهمّيَّة استمرار الإيمان مع تجدُّده واستحضار صورته؛ لنيلِ هداية القلب، وفي المضارع حثٌّ على التَّمسُّك بهذا الإيمان الدّاعي إلى هداية القلب والتَّسليم لأمر الله، وجاءتِ الباءُ دالَّةً على الملابسةِ وشدَّة التَّعلُّق بالإيمان بالله، أو الإلصاقِ، وهو معنًى لا يفارقها كما قال العلماء[1]، في إشارةٍ إلى أنَّ الهدايةَ أساسُها الإيمانُ بالله وقضائه وقدره.

دلالةُ التَّعبير بلفظ الجلالة (الله):

تربيةُ المهابة في قلوب المؤمنين

آثر القرآن الكريم التَّعبير بلفظ الجلالة (الله) في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ دون التَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة كما في قوله: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ [الجن: 13]؛ لتربية المهابة في القلوب، ولأنَّ سياق الآية يتحدَّثُ عن الابتلاء بالمصائب، وهذا أمرٌ يجعل النَّفس البشريَّة لا تتقبَّلُه، لكنَّ المؤمن بالله وبما له من العظمة والجلال يدركُ أنَّ أقدار الله فيه لا رادَّ لها؛ لأنَّها بإذنه، ولا يستطيع أحد أن يمنع وقوعَها؛ لأنَّها من الله العظيم.

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 46.

الموقعُ النّحويّ لقوله: ﴿يَهۡدِ﴾:

قوله تعالى: ﴿يَهۡدِ﴾ وقع جوابًا للشَّرط الوارد في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، وذلك لإفادة النَّتيجة المترتِّبة على الإيمان في قوله: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾، وهي تحقُّقُ هداية القلب الَّتي تصل به إلى الرضا بالقضاء.

الـهـدايـةُ مِـن شرائطها الإيمانُ والتَّصديق

دلالةُ التَّعبير بالمضارع في الشَّرط والجواب:

جاء فعل الشَّرط ﴿يُؤۡمِنۢ﴾ مضارعًا، وجواب الشَّرط ﴿يَهۡدِ﴾ مضارعًا، وفي هذا إشارة إلى أنَّ تجدُّد الإيمان يقتضي تجدُّد الهداية. وأنَّ "الإيمان تعقُبُه جنَّةُ الرِّضا والتَّسليم عاجلًا، والكفر بضدِّ ذلك"[1]، وكأنَّ في الآية تعريضًا بالكافر الَّذي لن يهديَ اللّه قلبه؛ لعَراقة كفره وتصميمه عليه.

دوامُ هداية الله ينالُهُ المؤمنون المثابرون على إيمانهم دون غيرهم

سرُّ التَّنصيصِ على القلبِ وجعلِهِ مفعولَ الهداية:

عدّى القرآنُ الكريم فعلَ الهدايةِ إلى القلبِ دون غيره من الجوارح في قوله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾؛ لأنَّ القلب موضع التَّقلُّب والتَّغيُّر، فكانت هدايته هدايةً للإنسان، وغوايتُه وضلاله غوايةً للإنسان؛ تصديقًا لقول رسول اللّه ﷺ: (إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه)، فهدايةُ القلب قرارٌ واطمئنان واستراحة عند تسلُّطِ الغمِّ والحزن، واطمئنانٌ للنَّفس، ووثوق بفضل اللّه[2]؛ لأنَّ هداية القلب تَصِلُهُ بالمعرفةِ الكلّيَّة الَّتي ترى في المصيبة أجرًا وتكفيرًا، فيستغني عن الرُّؤية الجزئيَّة القاصرة عن استكناهِ الحدث.

هـدايـةُ القلب هدايةٌ للجسدِ كلِّه

وممّا يُذكر في سرِّ تعديةِ الهداية إلى القلب الإشارةُ إلى الأمر بالثَّبات والصَّبر عند حلول المصائب؛ لأنَّه يلزم من هدي اللّه قلبَ المؤمن عند المصيبة ترغيبُ المؤمنين في الثَّباتِ والتَّصبُّرِ عند حلول المصائب[3].

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 61.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 127.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.

نكتةُ حذفِ متعلَّق الهداية:

إفـادةُ العموم بدلالة السّياق عليه

حُذف متعلَّقُ الهداية في قوله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾؛ لظهوره من السّياق، والقصدُ من هذا تعليمُ المسلمين الصَّبرَ على ما يغلِبُهم من مصائبِ الحوادث.

وممّا يُذكر في نكتة الحذف الإشارةُ إلى الشُّيوع وعدم تحديد نوع هداية القلب، فقد تكون الهداية لليقين، أو للتَّسليم، أو للثِّقة بأمر الله، أو ما يناسب السّياق، يؤكِّدُ هذا ما ذكره ابن عجيبة بقوله: "ومَن يؤمن بالله عند النِّعمة والرَّخاء فيعلمُ أنَّها من فضل الله يهدِ قلبه للشُّكر، ومَن يؤمن بالله عند الشِّدَّة والبلاء، فيعلمُ أنَّها من الله يهدِ قلبه للصَّبر والرِّضا"[1]. وقد يكون المتعلَّقُ هدايةً إلى الجنَّة، أو للأخلاق السَّنيَّة، أو لاتِّباع السُّنَّة واجتنابِ البدعة[2].

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾:

بـيـانُ طـلاقـة القدرة

جاءت الواو في الجملة الاسميَّة ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ للعطفِ على جملةٍ مقدَّرةٍ قبلها؛ لتعليل كلِّ ما سبق، والتَّقديرُ: (فالله على كل شيء قدير)؛ أي: لا يدع شيئًا يكون إلّا بإذنه، وعطف عليه قولَه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، فكلُّ شيء يجري في الكون من هدايةٍ وغيرها عليمٌ به سبحانه[3]. أو هي مستأنفةٌ بمنزلة التَّذييلِ والتَّبيينِ لوَجْهِ القصرِ في بدء الآية؛ ليدلَّ على الإحاطة التّامَّةِ وكمال العلم الإلهيِّ، "وفيه كناية عن مجازاة الصابرين بالثواب لأن فائدة علم الله لبتي تهم الناس التخلق ورجاء الثواب ورفع الدرجات[4].

دلالةُ تصدير الجملة باسم الجلالة (الله):

قدرةُ الله لا حدَّ لها، وعلمُه لا منتهى له

صُدِّرت الجملة الاسمية بلفظ الجلالة (الله)؛ لبيان طلاقة

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 61.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 61.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 125.
(4) (ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.

قدرته سبحانه، وأنَّها لا حدود لها؛ فلا يعجزها شي، وفي ذلك وعد للمؤمن، وطمأنة لقلبه، ووعيد لغيره بأنَّه يدرك ما يخفونه وما يبدونه.

نكتةُ إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار:

تربيةُ المهابة مع التَّفخيم وملاءمة السّياق

جاء التَّعبير القرآنيُّ بإظهار لفظ الجلالة (اللّه) في موضع إضماره؛ فلم يقل: (وهو بكلِّ شيء عليم) مع سبق ذكره قبل ذلك في الآية مرَّتين؛ لتربية المهابة وتعظيم الخشية من العليم، ولأنَّ الإظهار في موضع الإضمار يتعلَّقُ بالتَّفخيم والتَّعظيم للاسم المُظهَر، ويضاف إلى ذلك أنَّ الإظهار هنا يتلاءم مع الإظهارِ في الآية كلِّها، فقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ فيه إظهارٌ في موطن الإضمار؛ أي: ومن يؤمن به؛ لأنَّ قبلها قولَهُ: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، فكان التَّلاؤم والتَّناسق في تركيب الآية. ثمَّ في الإظهار تنصيصٌ على استقلال الجملة، وكأنَّها مَثَلٌ يَصلُحُ أن يُذكَرَ منفرِدًا مِن دونِ تعلُّقٍ بسابقٍ أو لاحقٍ.

دلالةُ تكرارِ اسم الجلالة (الله) في الآية:

استقلاليَّةُ الجُمَل مع ترسيخ الحُكم

في الآية الكريمة تكرارٌ لاسم الجلالة (اللّه) في كلِّ جُمَلِها، فالجملةُ الأولى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، والجملة الثّانية: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾، والجملة الثّالثة: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، وغرضُ ذلك التَّنويهُ بكلِّ جملةٍ من الجُمَل لبيانِ استقلالها عن أختها في إفادة المعنى، فالجملةُ الأولى مفهومةٌ برأسها، وكذا الثّانية، ولو قيل: (ومن يؤمن به) لاحتاجت الجملة إلى تعلُّقِها بما قبلها، لكنّ ظهورُ الاسم جعَلَها مستقلَّةً، ويضاف إلى ذلك أنَّ التَّكرار فيه ترسيخٌ لكلِّ حكمٍ في الأذهان بذكر الاسم الأعظم، مع إرساء المهابة في النُّفوس، فلئلّا يكونَ مظِنّةَ نسيانٍ تكرَّرَ بنَصِّه وفَصِّه.

دلالةُ الباء في قوله: ﴿بِكُلِّ﴾:

ملابسةُ العِلم واختلاطُه بكلِّ شيء

المعنى المحوريُّ للباء هو الإلصاق، وهو شدَّةُ اختلاطِ الشَّيءِ بالشَّيء، وقد دَلَّتِ الباءُ هنا على ملابسة العلم لكلِّ شيء واختلاطِه به، فلا شيءَ إلّا وهو معلوم في علم الله ﷻ. ثمَّ إنَّ النَّظم لا يستقيمُ إلّا بالباء، فكان الحرف ضالعًا في إقامةِ النَّظم دالًّا على استقامة التَّركيب.

دلالة التَّعبير بلفظ (كلّ):

الإحاطةُ والشُّمول

دلَّ التَّعبير بلفظ (كل) دون (جميع) في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ على الإحاطة والشُّمول، وعلى استقامة الجملة لفظًا ومعنًى؛ فهي الَّتي أقامتْ دلالاتِ العلم، فمِن دونها يختلُّ النَّظم، فلا يقال: (والله بشيءٍ عليم)، فكانت لفظةُ (كلّ) الدّالَّةُ على الشُّمول هي الواشيةَ بمطلق العلم وكماله، ومِن دونِها يختلُّ التَّركيب، فاقتضى السّياقُ ذكرَ لفظةِ (كل)؛ إبرازًا لعراقة العلم والتّماهي فيه.

دلالةُ التَّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾:

شمولُها للموجود وللمعدوم

جاء التَّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ بعد لفظ (كلٍّ) الَّذي يفيد الإحاطة والشُّمول؛ لبيان معنًى زائدٍ على معنى (كلّ)؛ حيث إنَّ لفظ (كلّ) يتعلَّقُ بالموجود؛ بخلاف لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾؛ فإنَّه يتعلَّق بالموجود وبالمعدوم، وهو ما تعلَّقت به المشيئةُ.

وفي التَّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الموجوداتِ بعدَ وجودها لا تستغني عن الصّانع، بل تفتقرُ في كلِّ آنٍ لبقائها الَّذي هو تكرُّرُ الوجود إلى تأثيرِ الصّانع[1].

نكتةُ تنكير ﴿شَيۡءٍ﴾ و﴿عَلِيمٌ﴾:

عمومُ الأشياء وبيان العلم

دلَّ التَّنكير في لفظة ﴿شَيۡءٍ﴾ على العموم؛ فهو عمومٌ معناه التَّنبيهُ[2]؛ ليشملَ كلَّ مخلوقٍ سواءٌ كانَ عاقلًا أم غيرَ عاقل، صغيرًا

(1) النورسي، إشارات الإعجاز، ص: 142.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 317.

أم كبيرًا؛ بيانًا للعلمِ المطلق المتمثِّل في لفظةِ ﴿عَلِيمٌ﴾، فكلُّ شيءٍ داخلٌ في حيطة علمه وقدرته، وقد يفيدُ تنكيرُ ﴿شَيْءٍ﴾ هنا التَّعظيمَ والتَّكريم، فالعلمُ لا يناسبُهُ إلّا شيءٌ عظيمٌ يتلاءم مع دلالته، فكان التَّناسبُ بين تنكير اللَّفظتين.

دلالةُ تقديم شبهِ الجملة ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾:

دلَّ تقديمُ شبه الجملة ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ على المسنَدِ ﴿عَلِيمٌ﴾ على الاهتمام بالمتقدِّم الدّالِّ على الإحاطة والشُّمول والقدرة المطلقة على كلِّ شيء.

الاهتمامُ بالمتقدِّم وإفادةُ الإحاطة

وممّا يُذكر في سرِّ تقديمها التَّشويقُ إلى ذكر الخبر بعده، وفي ذلك تهديدٌ وتخويف للكافر وطمأنةٌ للمؤمن؛ لأنَّ الخبر ﴿عَلِيمٌ﴾ جاء على صيغة المبالغةِ الدّالَّةِ على الإحاطة وكمالِ العلم وثبوته، فيَعلَمُ ما في القلوب مِن بَرْدِ الرِّضا أو حرارة التَّدبير[1].

نكتةُ تذييل الآية بصفة العلم:

ذُيِّلت الآيةُ بصفة العلم دون غيرها من الصِّفات من باب تناسُبِها مع ما تضمَّنتْهُ الآيةُ من أنَّ المصائب بإذن الله، ومن أنَّ الله يهدي قلوب المؤمنين للثَّبات عند حلول المصائب والرِّضا بها؛ فهو سبحانه يعلم جميع ذلك[2]، فصار العلمُ هو أنسبَ الصِّفات هنا؛ لأنَّ إصابةَ المرء بالمصيبة مِن متعلَّقات العلم.

طلاقةُ قدرة الله في كلِّ ما يحدث في الكون

ثمَّ إنَّ أمرَ القلوب خفيٌّ، لا يعلمُ ما فيها إلّا خالقُها، فصار التَّعبير بصفة العليم هو أوفى التَّعبيرات؛ لأنَّه لا يَعزُبُ عنه شيءٌ في السَّماوات والأرض.

ولا يخفى ما في لفظة ﴿عَلِيمٌ﴾ من المبالغة الَّتي ترمز إلى كمال العلم وإحاطته بكلِّ شيء؛ فصار التَّذييل باللَّفظة أقعدَ وأمكنَ في إصابة المراد.

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 60.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾:

رجـاءُ الثَّـواب لـلـمـؤمـنـين وتـحـذيـرٌ للكافرين

في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ كنايةٌ عن مجازاة الصّابرين بالثَّواب؛ لأنَّ علم الله تعالى يُطَمْئِنُ أهلَ الطّاعة بأنَّ أعمالهم معلومة عند الله فيرجون ثوابها، وترتفع بها درجاتهم[1]، وفيها تحذيرٌ للكافرين والعصاة؛ لأنَّ العلم يقتضي المراقبة؛ فالعليم لا يغيب عنه شيءٌ، ويراقبُ كلَّ شيءٍ، لذلك على الكافرين والعصاة أن يحذروا هذه المراقبةَ.

التَّشابُهُ اللَّفظيُّ:

تفصيلُ الأحوال في سورة الحديد وإجمالُها في سورة التَّغابن

تشابهتْ هذه الآيةُ مع قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الحديد: 22]، والنّاظرُ في الموضعين يجدُ تشابهًا في بعض الألفاظ وتغايرًا في بعضها الآخَرِ؛ ففي سورة الحديد تفصيلٌ، وفي سورة التَّغابن إجمالٌ، وسرُّ ذلك: أنَّ سورة الحديد مبنيَّةٌ على التَّفصيل، حيث فصَّل أحوالَ الدُّنيا والآخرة فيها بقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الحديد: 20]، فكان تفصيلُ ذكر المصيبة في النَّفس أو الأرض مناسبًا للتَّفصيل في الآيات؛ لأنَّ سورة الحديد أمعنُ وأوفى تعريفًا وأمدُّ تفصيلًا، أمّا التَّغابنُ ففيها إجمالٌ وعدمُ تفصيلٍ؛ لأنَّ الذِّكر انتقل مباشرةً بعد ذكر المصيبة إلى هدايةِ القلب، فناسَبَ الإجمالُ الإجمالَ، وناسَبَ التَّفصيلُ التَّفصيلَ، وتحصَّلَ نظمُ السّورتين على أتمِّ مناسبةٍ وأجلِّ تلاؤم، وجرى ذلك على مَسلَكِ العربِ وتفنُّنِها في كلامها وتصرُّفِها إذا أطالَتْ لداعٍ موجبٍ وفصَّلَتْ، أو أوجَزَتْ لمُقتَضٍ من المعنى وأجمَلَتْ، ولا يمكنُ على ما تبيَّنَ عكسُ الوارد في السّورتين بوجهٍ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 280.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 468.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"